بسم الله الرحمن الرحيم



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى جميع الآل والصحب والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ **أمَّا بعد**[1]:

لقد تميَّز جيلُ الصحابة والتابعين وتابعيهم بصفاء الرُّوح، وصدق الإرادة، والإخلاص، وقوة اليقين، فكانت نفوسُهم متجردةً من الأهواء والشكوك، متقبِّلةً للحق عاملة به، فصنعوا بذلك تاريخًا مجيدًا يفوح عقبه وأريجه ما دامت السماوات والأرض.

وصدَق فقيهُ الصحابة وقارئُهم عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال -وهو يصف الجيل الأول-: "أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[2].

وفي زماننا مع كثرة الدروس، وتفصيل الأصول والفروع، واستخراج الفرائد والفوائد، ومع التَّرف العلمي، وحبِّ البروز والظهور، وكثرة الألقاب والتسميات؛ نجد أن أكثر العلماء وطلبة العلم -إلا من رحم الله-

(1) أصل هذه المادة كلمة صوتية (مع بعض التصرف اليسير).

(2) جامع بيان العلم وفضله (2/ 947) برقم: 1810.

لديهم البراعةُ في تفصيل مسائل العلم، واستحضارِ الدلائل والشواهد، مع التحقيقِ والتدقيقِ والتنقيحِ والترجيح، ولكن عند تطبيق تلك الأمور على أرض الواقع والعمل بها، نجدهم من أشدِّ الناس حيرةً وريبًا وتقهقرًا، ليس في المسائل الاجتهادية التي تحتاجُ إلى سعة علمٍ واطلاع، ودقةِ فهم وتحقيق؛ إنما في أصول الدين ومُسَلَّماته، وليس هذا ضَرب من الخيال، أو من التُّهم الجَوفاء، بل هي شهادةٌ نُسأل عنها أمام الله ﷻ.

ولن أتركك في حيرة -أخي المستمع-، فسوف أضرب لك مثالًا، والأمثلةُ على ذلك كثيرة جدًّا، وفهمها لا يحتاج منك إلا تجردًا وإنصافًا وتفكرًا.

إن الله ﷻ عندما أمرنا بالرجوع إلى أهل العلم أمرنا بذلك لأنهم من ائتمنهم اللهُ على حفظ الدين وتبليغه، وعليه فإن على العلماء أن يخضعُوا وينقادوا للأدلَّة، ويعملوا بها، ويُفْتُوا بما يوافقها وبما تدل عليه.

وعلى طلبة العلم وعامة الناس أن يسألوا أهل العلم فيما أشكل عليهم، وما يجهلونه من أحكام الدين، ولكن؛ لماذا اليوم نجد كثيرًا من طلبة العلم والعوامِّ يسألون عن حكم ما يعلمون، لا ما يجهلون، عجبًا؛ لماذا يسألون عن أمور لا يجهلها أحدُهم، لماذا يسألون عن أمور معلومةٍ من الدِّين بالضرورة، بل هي مما فَطر اللهُ عليها الخلق، لماذا يسألون عن حكم أمرٍ قد بينه الله في كتابه، ورسوله ﷺ في سنته أوضح بيان، سبحان الله!

هل انسلخت قدسيةُ الأدلة عن النفوس! هل طرأ الشكُّ والريب في الأدلة الشرعية؟!

كلُّنا يعلم معنى الأخوَّة الدينية، والولاية الإيمانية، كلُّنا يعلم النصوص الشرعية في وجوب محبة المؤمنين وولايتهم ونصرتهم وإغاثتهم، ورفع ودفع الظلم عنهم.

كلُّنا يعلم قولَ الله ﷻ: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: 75].

كلُّنا يعلم قولَ الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: 38، 39].

كلُّنا يعلم قولَ النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(3).

وكلُّنا يعلم قولَه ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(4)، وقوله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»(5) «**وَلاَ يُسْلِمُهُ**»(6)، وقوله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»(7).

وكلُّنا يعلم قولَه ﷺ: «**مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ**»(8)، ثم بعد هذه النصوص الواضحات نسأل عن حكم نصرة المسلمين!

يا مسلمون؛ ويا طلبة العلم، هل أنتم في شك من هذه النصوص والأدلة، إذًا فلماذا تسألون؟!

في كل يوم يُهْرَاق دم المسلمين، وتُغتصب الحرائر الطاهرات، وتُنتَهك الحُرمات، وتُدنس المقدَّسات!

في كل يوم يُيَتَّم الأطفال، وتُرَمَّل النساء، والمسلمون وطلبة العلم يسألون؛ عن ماذا يسألون؟!

---

(3) أخرجه مسلم (4/ 1999) برقم: 2586.

(4) أخرجه البخاري (3/ 129) برقم: 2446.

(5) أخرجه مسلم (4/ 1986) برقم: 2564، من رواية أبي هريرة.

(6) **متفق عليه** من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (3/ 128) برقم: 2442، ومسلم (4/ 1996) برقم: 2580.

(7) أخرجه البخاري (3/ 128) برقم: 2443.

(8) أخرجه أبو داود (2/ 687) برقم: 4884.

عن نصرة دين الله، هل يجوز أو لا يجوز! عن الدفاع عن مقدَّسات المسلمين، هل يجوز أو لا يجوز؟ عن نصرة المظلومين، هل يجوز أو لا يجوز! عن إغاثة العفيفات، هل يجوز أو لا يجوز؟ عن فكاك الأسرى، هل يجوز أو لا يجوز؟! عن حكم مَن تسألون؟

عن حكم الله ورسوله ﷺ، أم عن حكم الرجال وآرائهم، إن كنتم تسألون عن حكم الله، أفلا تكفيكم نصوصُ القرآن؟!

إن كنتم تسألون عن سنة رسول الله ﷺ، أفلا يكفيكم قولُه وفعلُه ﷺ، فلماذا تسألون؟ ومن تسألون؟!

هل تسألون العلماءَ عن حكمهم ورأيهم؟ أم تسألونهم عن حكم الله ورسوله ﷺ، إن كنتم تسألونهم عن حكم الله ورسوله، أفلا تكفيكم الأدلة؟!

لقد كان السلف ﷺ إذا بلغتهم الأدلة سارعوا إلى العمل بها وتطبيقها، وإذا قال أحدٌ قولًا عرضوه على الأدلة، فإن وافقها أخذوا به، وإلا تركوه؛ قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر"[9].

أما اليوم؛ يقول العلماء، فيُقَلَّدُون، ويُتَّبَعُون، ولو كان قولهم مصادمًا للدليل الصريح، وإذا جاءت النصوص الشريعة يُتَوَقَّف فيها، ويُشكَّك في العمل بها، حتى تُعرض على أقوال العلماء، فيَا سبحان الله! شتَّانَ بين السلف والخلف، قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: 24، 25]، وقال تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: 63]، قال الإمام أحمد رحمه الله: "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله -أي بعض قول الرسول ﷺ- أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك"[10].

(9) أخرجه أحمد (1/ 337) برقم: 3121، ولفظه: "أراهم سيهلكون أقول قال النبي ﷺ ويقول نهى أبو بكر وعمر".

(10) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (1/ 260) برقم: 97، ولفظه: "وما الفتنة الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه".

فيا أيها المسلمون؛ ارجعوا إلى كتاب ربكم، وسنة نبيكم، واسألوا عمَّا جهلتموه من دينكم العلماء الصادقين المؤتمنين على دين الله، وإياكم ثم إياكم من سؤال علماء الضَّلال، الذين يرتمون في أحضان الطواغيت ويدافعون عنهم، قال ابن سيرين: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"[11].

❊ ❊ ❊

1439 هـ | 2018 م

مؤسسة الوفاء الإعلامية

(11) مقدمة صحيح مسلم (1/ 14).